

# تعليم البنات في مصر

## أطواره الماضية وحاله الحاضرة

لما أنشأ المغفور له محمد علي باشا مدرسة الطب حاول أن يغرى بعض الآباء بارسال بناتهم إليها لكي يكن قابلات فلم يجد من يلي طلبه لأن نفور الآباء كان شديداً من تعليم بناتهم فاضطر إلى إصدار أمره بشراء عشر جوار سودانيات لكي يدخلن مدرسة الولادة ويصرن قابلات .

وبقيت الأمة على جهودها نحو تعليم البنات إلى أن كان عهد المغفور له اسماعيل باشا حين شاع التوسع الاقتصادي والاجتماعي. فأنشأ مدرسة البنات بالسيوفية (هي الآن المدرسة السنية) سنة ١٨٧٣ فأقبل الآباء على تعلم بناتهم فيها حتى بلغ عدد تلميذاتها أيام اسماعيل ٣٣٤ تلميذة. وكان التعليم فيها مقصوراً على المواد التي تدرس في المدارس الابتدائية ثم أضيفت إليها الأعمال اليدوية . وعلى هذا الفرار أنشئت مدرسة أخرى للبنات في القرية .

وكرثت المدارس عندئذ واقشع ذلك الظلم الذي كان مضروباً على العائلات يمنعهم من تعليم بناتهم حتى كان عدد التلميذات سنة ١٨٧٥ يبلغ ٤٠٨٠ تلميذة . ولكن هذه النهضة لم تلبث بعد سنوات أن صدت إلى الوراء حتى إذا كان ختام القرن التاسع عشر كان الظلام قد عاد نغم على البلاد . ولم يكن لوزارة المعارف غير مدرسة واحدة ابتدائية للبنات هي المدرسة السنية إلى جنب المدارس الأجنبية للبعثات الدينية التي لم يكن يدخلها غير المسيحيات . ولكي تقدر مدى هذا الظلام يجب أن نقرأ ترجمة قاسم أمين . فإنه حين ألف كتابه "تحرير المرأة" و"المرأة الجديدة" يدعو فيها إلى سفور المرأة وتعليمها وجد مقاومة عنيفة من الشعب كأنه كان يدعو إلى النهك حتى قيل إن جماعة من الشبان والشيب قصدت إليه تطلب رؤية زوجته. وهذا يدل على أن الجيل الجديد الذي عاش بين سنتي ١٨٨٠ و ١٩٠٠ قد نسي تمام النسيان تلك النهضة الرائعة أيام اسماعيل وعاد يؤمن بضرورة الجهل للمرأة المصرية كما كانت الحال أيام محمد علي .

ولكن الانبعاث الوطني عقب سنة ١٩٠٠ كانت ترافقه نهضة أو على الأقل تلبه إلى قيمة تعليم المرأة . فأنشئت المدارس الأهلية وأخذ الآباء يرسلون إليها ولى مدارس البعثات الأوروبية والأمريكية بناتهم . وهذه البعثات كانت ولا تزال في الأغلب دينية . ولكن الجمهور المصري مع كراهته للزعات الدينية الأجنبية اضطر وهو كاره إلى تعليم الفتيات في هذه

المدارس لأنه لم يجد لوزارة المعارف مدارس لتعليم البنات . ويمكن أن نعين التواريخ التالية لتأسيس أقدم مدارس البنات الأجنبية :

- سنة  
١٨٤٤ مدرسة ميزريكورد بشارع الراهبات بالاسكندرية .  
١٨٤٦ مدرسة البون باستور في شبرا بالقاهرة .  
١٨٥٦ المدرسة الأمريكية للبنات بالأزبكية بالقاهرة .

ثم أخذت البنات الأجنبية تنشئ المدارس للبنات في عواصم المديرية . كما أن الأقباط أخذوا أيضا في إنشاء مدارس أهلية للبنات ولكن في قلة وضعف بحيث كانت تقشا المدرسة أحيانا فتبقى سنة أو سنتين ثم تموت لقلّة الإقبال عليها وتراكم الديون .  
على أن كل هذا التعليم كان ابتدائيا . ولم تنشئ وزارة المعارف مدرسة ثانوية للبنات إلا بعد سنة ١٩٢٤ ، وكان التعليم العالى لهذا السبب مما لا يمكن الفتاة المصرية أن تحصل إليه .

ولكن لما أنشئت مجالس المديرية أحيل عليها إنشاء المدارس للبنات . فتوسعت فيه وأقبلت عليه على الرغم مما لقيت من العقبات . فتمد كان بعضها ينشئ المدرسة - في الصعيد مثلا - ثم يقفلها لكرهه الآباء لتعليم بناتهم . ولكن البنات والمثابرة فعلا فعلهما في النهاية فأصبحت المدارس تنشأ في المدن والطريف ويقبل عليها الآباء بناتهم لتعليمهم . بل أصبح الآباء من الطبقة الثالية لا يستكفون من إرسال بناتهم إلى أوروبا لكي يتروذن بالعلوم التي لا يجدونها في مدارس مصر .

وقد كانت وزارة المعارف ترسل بعثات صغيرة العدد إلى إنجلترا لكي يتعلم فيها نحو مدرسة المعلمين . ويمكن بالمقابلة بين سنة ١٩١٧ وسنة ١٩٢٩ أن يعرف مدى النهضة في تعليم البنات . ففي سنة ١٩١٧ كان جميع الإحصاء في بعثة وزارة المعارف من الذكور وكان عددهم ٢٥ طالبا فقط يتعلمون جميعهم في إنجلترا فقط . ولكن في سنة ١٩٢٩ بلغ عددهم ٥٠٦ من الطلبة والطالبات نحو نصفهم من وزارة المعارف والنصف الآخر من الوزارات الأخرى . إنما المهم الذي يجب أن نذكره أنه كان بينهم طالبات .

وبعد سنة ١٩٢٤ أخذت وزارة المعارف ومجالس المديرية في إنشاء المدارس الأولية والابتدائية والثانوية للبنات . كما أن جامعة فؤاد الأول منذ إنشائها لم تميز بين تعليم الذكور والإناث فالتحق بها عشرات ثم مئات من الطالبات اللائي ينضممن في الأكثر إلى كلية الآداب وفي الأقل إلى كليات العلوم والطب والحقوق . وقد بلغ عدد الطالبات في الجامعة في السنة الماضية ٤٢٥ طالبة غير مدرسة الممرضات التي كان بها ٣٣٥ طالبة .

وهناك إلى جنب الجامعة مدارس طالية لتعليم البنات ، منها :  
معهد التربية للبنات ، ومعهد التربية للتدبير المنزلى ، ومعهد التربية للفنون الجميلة  
للبنات ، ومعهد التربية للموسيق للبنات .

كما أن هناك مدارس أخرى تعد إلى حد ما فنية هي :

مدرسة الثقافة النسوية بسراى القبة ، ومدرسة الثقافة النسوية بشوارع الخوياتى ،  
وكلتاها بمصر . ومدرسة الفنون الطرزية .

فالفتاة المصرية تجد في الوقت الحاضر الفرصة لأن تتعلم كما يتعلم لهن في جميع مراحل  
التعليم أنواعه . وهي لا تحرم إلا من القليل من المدارس والكليات . مثل المدارس الصناعية ،  
وكلية الزراعة والهندسة .

ومع أننا ما زلنا في البداية التي نرجو أن نسير بها خطوات واسعة نحو تعليم الفتاة المصرية  
فإننا لا نسمعنا إلا أن نبتج عندما تقارن بين ما اضطر إليه محمد علي حين اشترى عشر جوار  
لكي يكن قابلات في مدرسة الطب ، وبين التراحم من الطالبات المصريات على الكليات  
والمدارس الآن . وكذلك نبتج عندما نعرف أنه إلى سنة ١٩٢٤ لم يكن للوزارة المعارف  
مدرسة ثانوية واحدة للبنات في حين لما الآن عشرات من هذه المدارس تتخرج منها الطالبات  
فتكن أمهات مستنيرات أو طالبات في الجامعة يستردن من المعارف العالية .

وجميع التكهنات السيئة التي كان ينتظرها المتشائمون من تعليم البنات لم يتحقق منها شيء  
بل العكس هو الذي حدث . فإن البنت المتعلمة قد ثبت أنها خير الأمهات والزوجات تحسن  
تربية الصغار وتؤسس البيت السعيد وتفري الزوج بالبقاء فيه . فالبيت لم يبعد فدقا أو مطعا  
للزوج وإنما هو ناد راق ومجتمع مهذب يمد الزوج فيه الزوجة المسامرة المستنيرة والزميلة  
المتعلمة الرشيدة التي يثق بها في تربية أولاده ولا يخشى أن تقلد ثروته بعد وفاته لتصورها .  
ولا يكاد شاب متعلم أن يتخيل أنه يستطيع أن يتزوج فتاة أمية فهو يسأل — أول ما يسأل —  
عن الدرجة التي يلقها من الثقافة ويحرص بعد الزواج على أن يزودها بالوسائل التي تنبه  
ذهنها وترقيها .